

سبحان نجيب وامين الحداد



الشيخ نجيب الحداد

قد كان لي جسمٌ رسمتُ خيالهُ حرساً عليه قبل يوم زواله
واليوم أوشك أن يزولَ من الضنى فأنا لكم أهدي خيالَ خياله

في التاسع من شهر فبراير (شباط) سنة ١٨٩٩ ، أصيب الأدب العربي بركن من أركانه ، وبكى الشعر المصري أميراً من أكبر أمراء ديوانه ، بوفاة الشيخ نجيب الحداد من لا يزال الأدباء حتى اليوم يلقبونه بفقيد النظم والنثر ، لأنه أحيأ موات كلتا الصناعتين وترك لنا من آثار منظومه ومثوره ما يخلد له أكبر ذكر

لم تتجاوز سنو حياة النجيب الاثنتي والثلاثين ، لكنه وضع فيها من

الروايات والمقالات والقصائد ما لا نعرف ما يوازيه قدراً ومقداراً من مؤلفات كتاب العصر

لم يمضِ على وفاته إلا ثلاثة عشر عاماً وبضعة أشهر ، حتى راشت المنية سهماً جديداً ورشفته الى تلك الأسرة فأصاب كبد شقيقه الشيخ امين ، وقد اغتالت في هذه الفترة ، بين موت الشقيقين ، خالهما اديب العصر الأكبر ، الشيخ ابراهيم اليازجي ، آخر أنجال الشيخ ناصيف ، فكانت خسارة الأدب بالثلاثة فادحة ، وكانت صفقة الموت بهم رابحة .
شعر الشيخ امين في السنة الغابرة باشتداد التعب عليه ، فسافر في أوائل هذا الصيف الى جبل لبنان للراحة والاستشفاء ، فما ردّ وطنه عنه مقدوراً ، ولا أكسبه راحة ، ولا جاد عليه بالشفاء من الداء ، فمات في عين قني من قضاء الشوف ، بعد ان ارتوت نفسه من مرأى وطنه ، وشبعت عيناه عن مناظر جباله ووهاده . الشيء الذي مات اخوه نجيب متشوقاً اليه ، متحسراً عليه ، فقال وهو محتضر :

مات النجيب فأرخوا قبراً له قد مات مشتاقاً الى لبنان

* * *

وُلد الشيخ امين في بيروت سنة ١٨٧٠ بعد ميلاد شقيقه الشيخ نجيب بثلاثة اعوام ، ومات وهو في الثانية والاربعين من عمره ، فكان نصيبه من هذه الحياة عشر سنوات اكثر من نصيب أخيه . وقد تلقى دروسه الأولية في مدارس سوريا ، وأخذ العربية كشقيقه عن خاله المشهورين ابراهيم و خليل اليازجي



الشيخ امين الحمد

تمنعتُ من دهري بما هو حاصلٌ سوائه لديَّ الغرمُ فيه أو الغنمُ
وما كنتُ من أهل البسار وإنما لقد كان همي أنني ليس لي همٌ
أتيتَ ولا تدري وها أنت سائرٌ إلى حيث لا تدري فحسبك تهمٌ
وخذْ فرص اللذاتِ قبل فواتها ألم ترَ أن الجسمَ يخلفهُ رسمُ
نظم طانيوس عبده

وكان أول عهده بالصحافة في جريدة « الاهرام » التي ظلَّ أخوه
يحرر فيها عشر سنوات على أيام المغفور لها سليم بك وبشاره باشا تقلا .
ثم انفصل الأخوان عن الجريدة المذكورة ، واشتركا في انشاء جريدة

« لسان العرب » الشهيرة سنة ١٨٩٤ . فأصبحت حياتهما الادبية مشتركة . وهما في ذلك العهد ، يذكراننا بمعية الأخوين الشاعرين بطرس وتوما كورنيل ، اذ كانا ينظران وهما في منزل واحد ، فينادي الواحد الثاني عندما تعصاه القافية . « يا أخي أعزني قافية »

وقد كتب الشيخ امين فصولاً شائعة على صفحات « الجامعة العثمانية » وجريدة « السلام » ومجلة « أنيس الجليس » . ثم دخل في جريدة « البصير » لصاحبها رشيد بك شميل ؛ وظل ثلاثة عشر عاماً يدبج فيها من المقالات الرنانة ، والملح الأدبية المستظرفة ، ما حمل البعيد والقريب على الشهادة له بسرعة الخاطر ، والرشاقة في التعبير ، والسهولة في التفنن بأساليب الانشاء والشاعرية الحقيقية ، ومضاء القريحة

وقد اتفق كل من عرف الأمين على وصفه بكرم الأخلاق ، ولطف العشرة ، وخفة الروح ، ورعاية الذمام ، والقناعة والتواضع والبعد عن كل تظاهر . وقد سألنا حضرة الشاعر طايوس افندي عبده — وقد كان رفيق الاخوين الشاعرين وثالث هذين القمرين — عن رأيه في الشيخ امين ، فأجابنا بالايات الاربعة التي تراها تحت صورة الفقيد ، وقال : هذا هو الشيخ امين وهذه هي حياته وليس لي من الايات الا نظمها ولئن بكى فيه الأدب كاتباً بليغاً وشاعراً رقيقاً ، فان اصدقاءه سيكون فيه فوق ذلك ، خلاً وفياً وصديقاً صدوقاً

في اول سنة ١٩١١ اقترح الأديب محمود افندي ابراهيم ، صاحب « الاكسبرس » الاسكندري ، على فريق من الكتاب أن يعربوا عن أمانيهم في

مطام العام الجديد ، فكتب المرحوم الشيخ امين الحداد نبذة في هذا الموضوع
أحيينا نشرها للقراء لأنها تنم ، من وراء ستار الهزل ، عن ملل من الحياة وتعبد
من العمل ، كأن صاحبها كان يشعر بدنو أجله ، وقد تحققت أمنيته لسوء الحظ ،
ورقد رقادہ الأخير مستريحاً راحة أبدية ، قال رحمت الله عليه :

أنت تعلم أنني منذ عشرين سنة وأنا خادم في دولتين عظيمتين
خدمة لم تنقطع يوماً واحداً ، وهما دولتا الصحافة والكأس . بل اذا سألحتني
دولة منهما يوماً أو بعض يوم ، كان ذلك مخصصاً لخدمة الدولة الأخرى .
ولقد ترى حصان المركبة يُحَلُّ لجامه ، ويُطلق الى المراتع ليستأنف
حياته ونشاطه ، بل لقد ترى أمواس الحلاق ، وهي جماد ، تُراح من
العمل لتستعيد حداثتها ورهفها . اما خادم هاتين الدولتين فلا يُسمح له
بشيء من ذلك ، بل لقد أكون أنا المخصوص دون سائر زملاء هذه
المهنة (التي تَبَعَتْها عليّ وليس لي منفعتها) . فليطور السماء أوكار ، ولشعالب
الأرض أوجار ، وأما هذا الخادم فليس له مكان يضع فيه رأسه ليستريح
الا ان يكون ذلك الموضع الأخير ، وربما يكون في إحدى زوايا «البصير»
لذلك تراني لا أتمنى في سنة ١٩١١ الا ان أُحال على المعاش في إحدى
هاتين الدولتين ، ولكنني أتمنى معاش الصحافة ، فقد خدمت دولتها أكثر
جداً من دولة الكاس التي لا يزال لها عليّ ديون وحقوق . فهل
« للاكسبريس » ان « يسرع » في تحقيق هذه الأمنية لهذا « المتأخر »
الذي طال انحباسه ، وضائق أنفاسه ، وملّت من الانتظار كاسه

امين الحداد